الإرهاب الثقافي في الرواية العراقية بعد عام ٢٠٠٣ (نماذج مختارة)

أ.م.د. سولاف مصحب مهدي

كلية العلوم السياسية- جامعة النهرين

sulaf_m.mahdi@yahoo.com

Cultural terrorism in the Iraqi Novel after 2003

Ins. Dr. Sulaf Mus'hab mahdi

Nahrain University / College of Political Science

الخلاصة:

على الرغم من سيطرة مشهد العنف والإرهاب الدموي على معظم الروايات التي صدرت بعد عام ٢٠٠٣ لكن هذا لم يمنع من التفات تلك الروايات إلى الإرهاب الثقافي والفكري ، إذ لم يقتصر الإرهاب على جانب العنف الدموي فحسب ، بل امتد في ظل المتغي ارت الدولية الجديدة ليشمل الجوانب الثقافية والفكرية والإعلامية والحضارية . إن حضور الهم الثقافي –إن صح التعبير– في الرواية الع ارقية بعد عام ٢٠٠٣ لم يكن على القدر نفسه من الوضوح والأهمية في الطرح والتناول. فضلاً عن تباين جوانبه من رواية إلى أخرى . إلا انها اشتركت بتناول ورصد الثيمات الثقافية الأساسية ذاتها وهي: سلب حرية التعبير وتحجيم الإبداع من لدن السلطة ، وتأثير الحرب والإرهاب في الثقافة والفن والأدب وفي اللغة ، فضلاً عن قضية فقدان الهوية التاريخية والحضارية للبلد بعد حرق المكتبات وسرقة المتاحف وتهريب الآثار عند دخول المحتل الأمريكي . الكلمات الإفتتاحية: الإرهاب الثقافي ، الهوية الثقافية ، حضارة ، إبداع

Conclusion:

Although the specter of violence and bloody terrorism has dominated most of the novels published after 2003, this has not stopped those stories of cultural and intellectual terrorism. Terrorism has not only been on the verge of bloody violence, Media and civilization. The presence of the cultural concern, as it were, in the Iraqi novel after 2003 was not as clear and important in the presentation and treatment. As well as different aspects of the novel to the other. The impact of war and terrorism on culture, art, literature and language, as well as the loss of the historical and cultural identity of the country after the burning of libraries, the theft of museums and the smuggling of antiquities when entering the American occupier. Opening words: cultural terrorism, cultural identity, civilization, creativity

المقدمة :

لانعدو الصواب إذا ماقلنا إن الرواية العراقية الجديدة بعد عام ٢٠٠٣ هي رواية مقاومة بامتياز ، مقاومة الثقافة والأدب للعنف والدم واستباحة الأرواح والحريات ، فأضحت الرواية العراقية أرشيفاً لوجع الحروب والإرهاب وانتهاك حقوق الانسان والموت المجاني .. ومهما كان الدافع وراء أرشفة الكاتب العراقي لكل ذلك فإنه – وبحسب رأينا– قد تنبه إلى أن الثقافة والفكر والكلمة هي الحل الأنجع لمحاربة الإرهاب والتطرف وإن الحل العسكري هو حل مؤقت . وفي بحثنا هذا لانريد أن نسلط الضوء على ماتناولته الرواية العراقية من موضوعة الإرهاب والعنف الجسدي الذي نال من الانسان العراقي مانال ، فهذا الموضوع على كثرته في الروايات العراقية بعد عام ٢٠٠٣ لاتكاد تفلت رواية منه، قد تناولته الأقلام بالبحث والدارسة ، وإنما ما نود تسليط الضوء عليه هو الإرهاب الثقافي وترهيب المثقف العراقي ، سواء في زمن النظام البائد أو في زمن الإحتلال ومابعده.وكيف تناولته الرواية وكيف وظفته؟ تبعاً لذلك سيكون بحثنا هذا على مبحثين : المبحث الأول : حاول استقراء ماتناولته الرواية من إرهاب للمثقف من لدن سلطة النظام السابق قبل عام ٢٠٠٣ ، ومحاصرتها للفكر والثقافة ومراقبتها لكل مقال أو كتاب أو قصيدة ، أما المبحث الثاني: فقد رصد موضوعة ثقافة الإرهاب والتطرف الفكري والديني بعد عام ٢٠٠٣ ودخول الامريكان وقتل الإرهاب لمظاهر الحياة الحضارية والثقافية والفنية في المجتمع العراقي . وتقدم ذلك تمهيد يوضح ويحدد مفهوم وماهية الإرهاب الثقافي ، وتضمن البحث خاتمة بأهم نتائج البحث . وتأتي أهمية موضوع البحث وسبب اختيار الباحثة له من أهمية الهوية الثقافية والحضارية للبلد التي انتهكها الإرهاب مثلما انتهك دم الانسان وحياته ، بل انها في خطر اكثر منه . ولكثرة النتاج الروائي وغزارته بعد عام ٢٠٠٣ فإنه من الصعب على بحث أن يستوعب كل هذا النتاج ؛ لذا فإن الباحثة اعتمدت على نماذج مختارة وعلى ماحصلت عليه من روايات تضمنت ثيمة الإرهاب الثقافي فكان عددها ١٤ أربع عشرة رواية صدرت في سنوات مختلفة ، وتوقف البحث عند سنة ٢٠١٥ لهذا لم تجد الباحثة أثراً لموضوعة تأثير تنظيم داعش الإرهابي في ضياع الهوية الحضارية للبلد بعد تدميره لآثار الموصل وتخريبها ومحاربته للثقافة والفن والابداع ، فقد يحتاج الموضوع إلى مدة زمنية أكبر حتى ينضج ويخرج للساحة الأدبية ، فضلاً عن تقيد الباحثة بالحجم المقرر للبحث الذي أثر في الاستشهاد بالنصوص الروائية أيضاً . لكن هذا لايمنع من تتبع هذا الموضوع في النتاج الروائي والعمل على إضافتها لاحقاً إلى هذا البحث ليصدر على شكل كتاب بإذنه تعالى .

التمهيد : مفهوم الإرهاب الثقافي

ثمة غموض وصعوبة يكتنفان مفهوم الارهاب ، وهي حقيقة اتفق عليها جميع من كتب عن ظاهرة الإرهاب، ولعل سبب الاختلاف في تحديد هذا المصطلح ومفهومه يعود إلى ((طبيعة الأعمال الإرهابية ، واختلاف نظرة الدول لمثل هذه الأعمال ، ومدى شرعيتها من عدمها ، فما يره بعضهم إرهاباً ، قد يراه الآخر عملاً مشروعاً ، تقرّه القوانين والأعراف ومنطق العقل ، والعمل الذي يصنف إرهاباً لدى بعض الأفراد،

أو الدول ، يراه آخرون حقاً مشروعاً لمن قام به ، وذلك حسب الاتفاقيات الدولية ، وقوانين الأمم المتحدة ، وحقوق الإنسان المتفق عليها))[١] ، إذن فاختلاف الباحثين في تعريف وتحديد مفهوم الإرهاب سببه اختلاف الايديولوجية والفكر ، والعقائد الدينية والمذهبية بين المجتمعات البشرية ، فكل فلسفة أو فكر معين يضع تعريفاً خاصاً يخدم مصالحه سواء أكانت سياسية أم فكرية أم اجتماعية أم اقتصادية وحتى الدينية منها.[٢]إلا أن هذا التباين والاختلاف والتعددية في تحديد مفهوم الارهاب لايمنعنا من البحث في جذوره اللغوية ، واستعمالاته الاصطلاحية بغية الوصول إلى تعريف واضح ومفهوم لمعنى الإرهاب الثقافي .

الإرهاب في اللغة :

(رهب) : الراء والهاء والباء ، بفتح الراء وكسر الهاء وفتح الباء خاف ، و(رَهْبةً) أيضاً بالفتح و(رهباً) بالضم ، و(أرهبه) و(اسْتَرْهَبَه) أخافه . و(التَّرهب) التعبد.[٣] والارهاب من فعل رهب والاسم الرهبة [٤]، والرهبوت فهو الخوف الشديد .[٥] ومادة (رهب) ومشتقاتها وردت في ثمانية مواضع من القرآن الكريم ، نذكر منها : قوله تعالى :((يَا بَنِي إِسرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ))البقرة/٤٠ . وقوله تعالى:((وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ))الأعراف/١٥٤ . وقال تعالى:((لأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ))الحشر/١٣ . وقوله تعالى:((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ))الأنفال/٦٠. فعلى الرغم من الآيات الكريمة تضمنت معنى الخوف والفزع ، فانه لايمكن أن نحدد من خلالها مصطلح الارهاب بمفهومه المعاصر ، وان إلصاق الارهاب بالإسلام هو محاولة لإخفاء الجذور الحقيقية للإرهاب الحالي والمعاصر . وكلمة (الإرهاب) (terror) اللاتينية التي اشتقت منها ،(terrorism) الانكليزية، و(terrorisme)الفرنسية يقابلها في العربية وفي القرآن الكريم مفهوم الرعب والاعتداء والقتل والفساد في الأرض بغير حق ، إذ يقول سبحانه وتعالى :((من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً))المائدة/٣٢ .

المعنى الإصطلاحي للإرهاب:

لم يظهر مصطلح (الإرهاب) في معناه الشائع اليوم إلا في القرن الماضي ، ومن لدن دول الغرب تحديداً ، فتعددت المحاولات لتعريفه لاسيما مع بروز الإرهاب مسرح الأحداث الدولية والمجتمع الدولي .ويمكن إيراد بعض تعريفات الإرهاب للوصول إلى المعنى المراد من الإرهاب الثقافي والفكري: يعرف الإرهاب في (الموسوعة السياسية) بأنه ((استخدام العنف –غير القانوني– أو التهديد به بأشكاله المختلفة ، كالاغتيال والتشويه والتعذيب والتخريب والنسف وغيره بغية تحقيق هدف سياسي معين))[٦] . ويعرفه (القاموس السياسي) بأنه ((محاولة لنشر الذعر والفزع لأغراض سياسية ، والإرهاب وسيلة تعتمدها حكومة استبدادية لإرغام الشعب على الخضوع والاستسلام))[٧] . والإرهاب في (معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية) هو((الطريقة التي تحاول بها جماعة منظمة أو حزب أن يحقق أهدافه عن طريق استخدام العنف))[٨] . والإرهاب بحسب ماتحدده الأمم المتحدة هو ((تلك الأعمال التي تعرض للخطر أرواحاً بشرية بريئة أو تهدد الحريات الأساسية أو تنتهك كرامة الانسان))[٩] .ومن أكثر التعريفات وضوحاً هو تعريف الاتفاقية العامة لمكافحة الإرهاب في إبريل /نيسان ١٩٩٨، التي عقدتها جامعة الدول العربية ،فقد تضمنت الاتفاقية ديباجة وأربعة أبواب ، واثنين واربعين مادة، وفي المادة الأولى من الاتفاقية عرفت الإرهاب بأنه:((كل فعل من أفعال العنف ، أو التهديد به أياً كانت بواعثه ، أو أغراضه ، يقع تنفيذاً لمشروع إجارمي فردي أو جماعي ، وبهدف إلقاء الرعب بين الناس ، أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة او الخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها ، أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر))[١٠] .والتعريفان الأخيران هما أكثر التعاريف اشتمالاً لمعنى الارهاب ؛ لأنهما لم يغفلا البعد المعنوي للارهاب أي الارهاب الذي ينتهك انسانية الانسان وفكره وثقافته . ولكي نقف بوضوح على معنى الارهاب الثقافي علينا أن نحدد مانريده من كلمة ثقافة . فهي من المفاهيم والمصطلحات التي تحمل دلالات عدة ، وابعاداً كبيرة . والثقافة في المعاجم العربية لها معان عدة : وكلها ترجع إلى الفعل الثلاثي (ثقف). ويقال:(ثقَّفته) بالتثقيل أقمت المعوج منه ، والثقاف هي حديدة تسوى بها الرماح[١١]. واستعمل العرب (ثقف) استعمالاً مجازياً : يقال: تثقف فلان على فلان : أي تأدب عنده ، وثقف الإنسان أدبه وعلمه وهذبه ، والثقافة: العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها.[١٢] ويقال: رجل ثَقْف وثَقِفٌ وثُقُفٌ: حاذق فهم[١٣] . ويذكر ابن سلام الجمحي كلمة الثقافة في كتابه (طبقات فحول الشعراء) ، إذ يقول:((وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات ، منها ماتثقفه العين ، ومنها ماتثقفه الأذن ، ومنها ماتثقفه اليد ، ومنها مايثقفه اللسان))[١٤]. وتعني هنا: الفهم والحذق في الشيء. إذن فالثقافة في معناها اللغوي واستعمالها عند العرب

أخذت بعداً معنوياً وبعداً حسياً ، المعنى الحسي جاء من طابع البداوة وهو تقويم المعوج من الرماح وكذلك الملاعبة بالسيف . ومع تطور أحوال العرب واستقرارهم وتمدنهم استعملت الثقافة لتدل على تقويم السلوك والفكر والتعلم والتأدب والفهم والبراعة والحذق . وللثقافة تعريفات كثيرة لايسع المكان ولاالموضوع الخوض فيها وفي تشعباتها ، وسنورد بعض هذه التعريفات التي تدخل في سياق موضوع البحث :

أخذت كلمة الثقافة مع القرن الثامن عشر الميلادي معنى التكوين الفكري والتقدم المعرفي للشخص ومايتطلبه ذلك من عمل[١٥] . وتطورت الثقافة من كونها شيء خاص بالإنسان لتصبح عالمية النزعة لتعني: مجموعة عناصر الحياة وأشكالها ومظاهرها في مجتمع من المجتمعات[١٦] . والثقافة بحسب التعريف الصادر من الاليسكو في الخطة الشاملة للثقافة العربية: ((تشتمل مجموع النشاط الفكري والفني بمعناهما الواسع ومايتصل بهما من مهارات ، أو يعين عليهما من وسائل ، فهي موصولة الروابط بجميع أوجه النشاط الاجتماعي الأخرى متأثرة بها ، ، معينة عليها ، مستعينة بها))[١٧] . ويعد تعريف العالم الانثربولوجي الانجليزي (إدوارد تايلور) من أقدم التعريفات وأكثرها شيوعاً منذ عام ١٨٧١م وحتى العصر الحاضر الذي ينحو فيه منحى واقعياً ، إذ عرفها بأنها ((ذلك الكل المركب المشتمل على المعارف ، والمعتقدات ، والفن، والقانون، والأخلاق، والتقاليد ، وكل القابليات والعادات الأخرى ، التي يكتسبها الانسان كعضو في مجتمع))[١٨] . ويعرف (نورثروب فاري Northrop frye) الثقافة على وفق ثلاث طرائق أو أنواع ، فهي: أسلوب حياة ، أي تلك الطرق التي يمارس المجتمع من خلالها طقوسه الاجتماعية اليومية ، كطريقة الأكل والشرب ، واللبس . والثقافة أيضاً إرث مشترك من الذكريات ، والعادات التاريخية المنقولة بشكل رئيس عبر اللغة المشتركة. وهي كذلك التعبيرات الخلاقة في المجتمع ، التي تتجسد في هندسة البناء والموسيقى، والعلوم ، والمؤسسة التعليمية ، والفنون التطبيقية .[١٩] ويفضل الدكتور علي الوردي مصطلح (الثقافة الاجتماعية) ليفرق بين المعنى العلمي للمصطلح والمعنى الشائع لمصطلح الثقافة الذي يدور حول المعرفة والتهذيب او النضوج العلمي ، وهو لايخرج عن العناصر الثلاثة المذكورة آنفاً في تعريف (نورثرب فراي) ، إذ يعرفها: ((بأنها مجموعة التقاليد والقواعد والأفكار الموجودة في أية أمة من الامم . وهي تشمل مختلف شؤون الحياة فيها ، كالشؤون الدينية والأخلاقية والقانونية والفنية والصناعية واللغوية والخرافية وغيرها))[٢٠] ، ويرى الوردي أن كل هذه الأجزاء والعناصر كل متماسك ومترابط ومتفاعل تفاعلاً قوياً ، مستنداً إلى رأي عالمة الاجتماع (روث بنديكت) التي تشبه الثقافة الاجتماعية بالمركب الكيمياوي الذي يتكون من مجموعة من الأجزاء المتفرقة إلا أنه قائم بذاته وله خصائص تختلف عن خصائص كل جزء أو عنصر فيه .[٢١] ونخلص مما سبق أن تعريف (نورثروب فراي) هو أكثر التعاريف تحديداً ووضوحاً لمصطلح (الثقافة)، أو هو على الأقل مانريد أن نسلط الضوء عليه في موضوع بحثنا (الارهاب الثقافي).

فالإرهاب الثقافي : هو كل عمل أو نشاط يستهدف أو ينتهك حرية الأفراد في مجتمع معين ويمنعهم من ممارسة طقوسهم وعاداتهم ، وهو سلب حرية التعبير عن الرأي ، أو محاولة طمس الهوية الحضارية والفنية والدينية والفكرية والتاريخية ، أو الاعتداء على تراث البلد وآثاره ، وتخريب المظاهر العمرانية فيه، وقتل التعبيرات الخلاقة (من فنون وآداب وعلوم) أو تقييدها وأدلجتها لصالح جهة معينة .

فالتعرض لثقافة مجتمع وماتعود عليه من عادات وتقاليد هو إرهاب ثقافي ، وسلب الحريات الشخصية كمحاولة فرض الحجاب على الفتيات المسيحيات أو إرهاب بعض السلوكيات والاعراف الاجتماعية هو ارهاب ثقافي ، وتشويه مظاهر العيش العصرية والحضارية كتشويه أماكن لها طابعها الخاص هو بحد ذاته سلوك إرهابي ، وسرقة آثار البلد وتدميرها هو إرهاب ثقافي ، ومحاصرة الفكر والإبداع ومراقبته وخنقه وأدلجته من لدن السلطة هو إرهاب ثقافي .

المبحث الأول - إرهاب الثقافة والإبداع من لدن السلطة.

انشغلت الرواية العراقية بعد فورتها اللافتة منذ تغيير النظام السياسي عام ٢٠٠٣ ودخول العراق مرحلة الاحتلال ومابعدها ، بموضوع أو ثيمة الرابط المشترك الذي ارتبطت به ودارت حوله أغلب النتاجات الروائية في هذه المرحلة ألا وهو(الوجع العراقي) ، سواء وجع الحروب والموت والسجون والخوف ومصادرة حقوق الانسان وكرامته وسلب حرية الفكر والإبداع خلال سنوات حكم النظام السابق ، أو وجع الإحتلال والإرهاب والموت المجاني والإقتتال الطائفي[٢٢] . وعلى الرغم من سيطرة مشهد العنف والإرهاب الدموي على معظم تلك الروايات لكن هذا لم يمنع من التفات الرواية العراقية الجديدة إلى الإرهاب الثقافي والفكري ، إذ لم يقتصر الإرهاب على جانب العنف الدموي فحسب ، بل امتد في ظل المتغيرات الدولية الجديدة ليشمل الجوانب الثقافية والفكرية والاعلامية والحضارية . وتعد سياسة تكميم الأفواه وقمع الحريات والكبت الانساني ، والفني والأدبي ، ومصادرة حقوق الانسان ، وما جرته الحروب التي خاضها النظام السابق من آثار مرعبة على الحياة الثقافية والإعلامية والحضارية في البلد ، من أهم ماتناولته الرواية الجديدة بعد عام ٢٠٠٣ وكأن الكاتب الروائي ((وقف مترقباً بصبر عظيم ذلك اليوم

الذي يمتلك فيه حريته ليطلق صرخته محرراً روحه من كبت انساني وأدبي مزمن ، ليكتب عن الدم والكبت والاضطهاد ، عن الامنيات والأحلام الموؤدة ، حالما تصبح حريته واقعاً ملموساً ...هذه حقيقة تطرحها أفكار ورؤى النصوص الروائية التي ظهرت بعد التغيير حاملة غضبها وآلامها ومكابداتها لسنوات طوال وهي تعيش تحت نير حكم يكمم الأفواه ويقمع الحريات بامتياز، حيث ظهرت بعض الروايات وكأنها تحاول منح الحياة مجدداً للضحايا))[٢٣] ، ضحايا جيل عاش أسوأ مايمكن أن يكون في الحياة: الحرب والاستبداد . وهذا ما تحاول رواية (أساتذة الوهم) للروائي علي بدر أن تكشف عنه ومنذ عنوانها الذي يحمل ثيمة الرواية الدلالية وهي وهم الأدب والشعر والثقافة في مجتمع تعلوه مفردة الحرب والاضطهاد بدل مفردة الحياة والحرية ، تدور أحداث الرواية في بغداد مرحلة الثمانينيات وتحكي قصة ثلاثة جنود شعراء شباب يحلمون بالشعر ولاشيء سوى الشعر والأدب ، لكنهم يسحقون كبقية أبناء جيلهم أما في الحرب ، او بالإعدام من لدن السلطة ، قبل أن ينشروا نتاجهم الشعري ((لقد ماتوا ..نعم ، ماتوا ولم ينشروا شيئاً ولم يسمع عنهم أحد))[٢٤] ، يقول الراوي البطل عن إعدام الدكتور ابراهيم الشاعر : بأنه((قد مثَّل الجيل كله أيضاً . الجيل الذي عاش في زمن الحرب غريباً تماماً، عاش كما لوكان روحاً شاردة ألقي بها من عالم آخر))[٢٥] ، وهو ماتسميه الرواية على لسان إحدى الشخصيات بـ(الإرهاب الأدبي) وكيف ان التاريخ المكتوب من لدن السلطة يقتل التاريخ المعاش و(التاريخ الأدبي)[٢٦]، وتكشف الرواية عن تأثير الحرب على الحياة المدنية والثقافية والاجتماعية ، وكيف تقتل الحرب الشعور بالحياة:((شعرت بأن الحرب قضت على كل شيء عاشه هؤلاء الشباب ، فتحولت الحياة إلى سجن ، تحولت إلى عذاب))[٢٧]. ولم تكن (أساتذة الوهم) الرواية الوحيدة التي تناولت ثيمة قتل الحرب للحياة المدنية والثقافية، وٍ انما تناولتها روايات عدة أخر ، إذ تصور رواية (خضرقد والعصر الزيتوني) للكاتب (نصيف فلك) كيف تؤثر الحرب في الحياة وكيف تمسح الانسان وتمرغ روحه وتستلب ذاته وينسى آدميته:((غداً سنكون محصنين من أعمق وأسمى العواطف البشرية ، نخلف وراءنا مشاعر الأمل واليأس ، ويصير التشاؤم والتفاؤل مثل لعبة قديمة اندثرت وانقرضت فلا يتذكرها أحد سوى المدمنين على الحنين ...سوف نكون محصنين ، أي كارثة لاتهزنا وأي موت لايغضبنا ولايستفزنا ...الحياة نفسها ستتركنا خارجها فلاتعود شروطها ونواميسها تنطبق علينا . سوف لانصلح حتى الموت الطبيعي العادي .محصنون ، نعيش فوق العادة ونموت فوق العادة))[٢٨]. وكشفت روايات أخر كيف كانت السلطة السابقة تمارس إرهابها عبر مؤسساتها الثقافية والإعلامية عن طريق عسكرة المرافق الاجتماعية والتعليمية والثقافية لتحولها إلى مؤسسات وثكنات عسكرية لتصبح الجامعة والمدرسة في رواية (إعجام) لسنان انطوان ثكنة عسكرية .[٢٩]ولم تقتصر الروايات على تناول ثيمة عسكرة الحياة المدنية على الجامعات والمدارس ، وٍ انما شملت المرافق الفنية ومعارض الرسم وعروض المسرح والصحف... تصف فيه تأثير الحرب العراقية –الإيرانية في الحياة الثقافية والفنية ، تقول الراوية البطلة في رواية (كم بدت السماء قريبة) لبتول خضيري وهي طالبة في مدرسة الموسيقى والباليه :((هكذا أدرجت حياة المدرسة في لائحة الكماليات . بدأ الطلبة يهيئون أنفسهم لتحويل أوراقهم إلى المدارس "الواقعية" . قل عدد الطلبة للنصف))[٣٠] ، فكل شيء في الحياة يعسكر ، وطالما ان ماكنة الحرب تدور فلا أهمية لشيء خارجها:((نحن لانعرف غير الرقص وهذه اللغة لاتجدي في الحرب))[٣١]. ورواية (اعجام) التي تكشف وبأسلوب ساخر موقف السلطة من الثقافة والابداع سواء عن طريق تناص وأسلبة أقوال الرئيس السابق أو أسلبة البيانات العسكرية عن طريق قلب الكلمات بأخرى بتغيير وتبديل بعض حرفها أو التلاعب بنقاطها ومحاولة إظهار الكارثة الثقافية أن الحرب والعنف هو في جوهره تعنيفاً للثقافة واللغة وانتصار لثقافة المعنى الواحد ، وكل كتابة تخالف هذا المعنى هي معجمة ويتهم صاحبها بالاعجام (الإعدام):((ومن أجل حماية الوطن والأجيال القادمة من شرور الأعداء الحاقدين ، فقد أصدر القاعد[32] الضرورة مرسوماً يقضي بمصادرة كافة المعاجم والقواميس التي حاول العدو استغلالها لزرع بذور الفتنة . هذا وسيتم إحراقها في احتفالات شعبية تعم أرجاء البلد . فليحتفل شعبنا العظيم باستعادة زمام المعنى الواحد الذي حاولت زمرة من الأوباش والغوغاء اغتصابه . كما أمر القاعد وزير الداخلية بتوزيع قائمة الكلمات الأساسية ومعانيها الواضحة على كل مواطن ليكون حارساً للمعنى ...))[٣٣] ، فمحاولة تهميش عقلية المثقف ليبقى صوت السلطة الدكتاتورية وقوتها العنيفة لتمارس أبشع أنواع الترهيب والعنف غير المباشر المتمثل بخنق الحريات ووضع الخطوط الحمراء التي يؤدي تجاوزها إلى الهلاك الأمر الذي يقضي على ابداع المثقف وفكره وكفاءته[٣٤]، وبذلك يتم القضاء على ثقافة جيل ووأد الإبداع قبل أن يولد ؛ مما يؤدي إلى هجرة الكفاءات والمبدعين للبحث عن حرية التعبير ، وهو ماحصل لإحدى شخصيات رواية انعام كجه جي (الحفيدة الأمريكية) عندما هاجرت الأستاذة الجامعية بتول مع زوجها المذيع بعد تعذيبه واعتقاله بسبب اعتراضه على طول نشرة الأخبار وانها بائتة منذ نشرة اليوم السابق .[٣٥]وتعد رواية (العودة إلى كاردينيا) للكاتب (فوزي كريم) – وهي أقرب ماتكون إلى السيرة الذاتية– من أشد الروايات التي ركزت على الإرهاب الفكري والثقافي في العهد السابق وكيف سيطرت ثقافة السلطة واعلامها على الأدباء ونتاجهم ومحاولة تسخير نصوصهم في خدمة حزب السلطة ويتجرد إبداعه من أي بعد

انساني، يقول الراوي البطل واصفاً السلطة :((بعد زمن ، لايملك انسان الحزب أن يتخيل البشرية إلا كتلاً جماهيرية ، لا كيانات فردية...يتلاشى الانسان ليحل البطل– المناضل في مكانه. يتلاشى الأحياء في مصطرعهم ، والطبيعة في استجابتها وتحديها ، لتحل محلها فكرة الوطن ..."شاعر الحزب" مثل "انسان الحزب" غير معني بالانسان مطلقاً . مع ان الشعر لاقوام له دون انسان .))[٣٦] فالأدب – بحسب رأي الراوي البطل– السلطوي، أي الذي يتكلم بلسان السلطة ويتماشى مع معاييرها الأيديولوجية ، لاسيما مايسمى بـ(البعد القومي) أو الحس القومي هو أدب خالٍ من أي بعد انساني ؛ لأن ذلك المعيار الذي حجّم الإبداع وقتله لعدم السماح للأديب الخروج على حدوده فكانت الحياة الأدبية والثقافية في ذلك العهد – كما يصفها الراوي البطل– وكيف أثر البعد القومي فيها :((ضيّق "البعد القومي" (وهو مصطلح ابتكره مثقفو حزب البعث ليكون عماد كل فعل أو نص إبداعي ، ومعياراً للحكم على صلاحيته للحياة ، وهو يقابل مابتكره الشيوعيون من عناصر الواقعية الاشتراكية أيام سطوتهم الثقافية!) الأفق على المثقفين والناس في بغداد والعراق عامة ، لأن "ثقافة الإعلام" البعثي أرادت أن تنتصر على مأشيع في ثقافة اليسار من "بعد أممي" ، فحرصت أن يشترك الكورس الثقافي في الإنشاد . وهذا ماحدث في الفعل ...))[٣٧] . إن ماترصده رواية(العودة إلى كاردينيا) من تأثير ثقافة السلطة وايديولوجيتها على الإبداع الأدبي ، تذهب رواية (أساتذة الوهم) إلى أبعد منه لتكشف عن تأثير السلطة الدكتاتورية في موضوع الرواية ومضمونها وشكلها، إذ تعزو – وعلى لسان إحدى شخصياتها– سبب فشل الكتاب العراقيين في كتابة (رواية بوليسية) انهم يعيشون في مجتمع دكتاتوري وانه:((لو شكتْ الشرطة بأحد الأشخاص سوف يأخذونه للتحقيق مباشرة ، إذا قاوم سيقتلونه ، ويقولون كنا متأكدين من أنه هو المجرم ، واذا لم يقاوم وأخذوه إلى التحقيق ، فإنهم سيضربونه حتى يقر بأنه المجرم ، سواء ارتكب الجريمة أم لم يرتكبها....الجريمة في الغرب يتم كشفها عن طريق الدليل، في العالم العربي بالإقرار والإكراه ...وبالتالي هذا هو سبب فشلنا في كتابة "رواية بوليسية"))[٣٨] ، لكن على الرغم من فشل هذا الجيل في كتابة رواية بوليسية فأنهم لايستسلمون وإنما يحاول هؤلاء الجنود الأدباء بتأسيس فريق أدبي على غرار التجمعات السياسية ، يحاولون كتابة رواية جماعية تدين الحرب والدكتاتورية تحمل اسم (بهية) ، يعبرون فيها عن عجزهم عن كتابة رواية في زمن الدكتاتورية.[٣٩] وقفت أغلب الروايات العراقية بعد عام ٢٠٠٣ وقفة طويلة راصدة محنة المجتمع العراقي وهو يعيش حكماً دكتاتورياً وحروباً لاتنتهي ، لم تكتفِ بسحق الأرواح وإنما تعدته إلى تدمير كل مارافق الحياة : ثقافية، واجتماعية ، وفنية ، وترفيهية، بل حتى الأماكن المهمة ولاسيما الثقافية فقدت هويتها بسبب الحروب والإضطهاد . وهذا ماكشفت عنه رواية (نجمة البتاويين) للكاتب شاكر الأنباري التي تدور معظم أحداثها بعد عام ٢٠٠٣ ، تحديداً عام ٢٠٠٦ ، إلا إنها لاتخلو من العودة إلى الماضي ومحاولة استقراء معالم بغداد وكيف تغيرت ملامحها كشارع الرشيد ، وحي البتاويين ، وشارع ابي نؤاس ، وكيف أثرت الحروب والدكتاتورية عليها ، يقول الراوي البطل في حديثه عن شارع الرشيد:((جاءت الضربة القاضية من حروب وهجرات ومطاردات ومنظمات سرية دسّت أنفها في تلافيف كل محلة وزقاق وبيت ، في كل قصيدة ومقالة وكتاب ، وانتشرت في شارع الرشيد وجوه غريبة تترصد وتتسمع الحوارات ، تبطش وتقتل فجأة ثم تغوص وسط الحشود دون أن تترك أثراً . انتشر في ذاكرة المكان سرطان راح يفتك بخلايا حية في الشارع ، تلوثت المقاهي بالمخبرين ، وترصدت عيون سرية شقق الأدباء والفنانين ومراسمهم ، وبدلاً من المدارس الفنية والكتب والموديلات والصرعات بدأت الأسواق والحارات تستقبل الجثث والخطب الجوفاء والسلاح والملابس المرقطة))[٤٠]. فكانت مفردة الحرب هي من تسيطر على الشارع الثقافي لتفرض هيمنتها وقسوتها حتى على اللغة ، لغة الشارع ، ولغة المثقف ، ولغة الإبداع ، فقد وقفت الرواية العراقية وقفة جدية أمام هذه القضية ، لتكشف عن محنة الأدباء والمثقفين في زمن الحرب والإرهاب والدكتاتورية . إذ تكشف رواية (خضرقد والعصر الزيتوني) عن هيمنة العنف الرمزي على اللغة المتداولة في الشارع فانسحقت اللغة الودودة لاسيما لغة الحب تحت البساطيل . فبسطال الحرب داس الحب والورد ، لتغيب لغة الحب والغزل وتشيع لغة العنف والاضطهاد والكبت .[٤١] إلا إن رواية (أساتذة الوهم) تكشف عن تأثير أعمق للحرب والاضطهاد في اللغة لترصد أزمة حقيقية للغة في زمن الحرب والإرهاب الأدبي ، فكان هاجس أبطال الرواية (الجنود الأدباء) هو الابتعاد عن اللغة السائدة وربما هو هاجس الهرب من الموت الذي كان يحيط بهم ويشمون رائحته حتى باللغة المتداولة والسائدة ((ذلك ان اللغة الشائعة ذلك الوقت هي اللغة التي تستخدم في الإعلام . لقد كانت hyper language لغة متضخمة ، خطاباً مفصولاً كلياً عن الحياة ولايلامسها أبداً))[٤٢] ، ففي الثمانينيات كانت مشكلة الأدباء والشعراء هي ماذا تبقى من اللغة طالما استخدمت في الحرب والإعلام استخداماً مقززاً ، فلم يبق أمام الشاعر والأديب سوى البحث عن لغة لم تفسدها الحرب ولا الإعلام ، أو أن يبقى في صمت عميق[٤٣]. ويلخص الراوي البطل وهو أحد شخصيات الجنود الشعراء ، يلخص حالة المثقف العراقي في زمن الحرب والاضطهاد ((كنا نعيش فزعاً حقيقياً ، كنا نحاول أن نقفز فوق اللغة ، لكننا فشلنا ،

نعم كلنا فشلنا ، تعثرنا وسقطنا واستقر أنفنا تماماً فوق الجثة))[٤٤] ولعل هذه العبارة هي خير تلخيص لحالة المثقفين في الحرب . على الرغم من إيماننا بأن هذا المأزق لم يمنع بعض الأقلام الذكية من الكتابة عن الحرب ببعدها الإنساني مثل قلم الكاتب (محمد خضير) .

المبحث الثاني ـ الإرهاب الثقافي بعد عام ٢٠٠٣

على الرغم من انشغال الرواية العراقية الصادرة بعد عام ٢٠٠٣ بأرشفة وجع الحقبة السابقة (حقبة حكم النظام السابق) بعد أن تحرر قلمهم من الاستبداد والكبت والقهر السياسي ووجع الحروب والموت ، لطالما انتظر كتابها سنوات وعقود حتى يسجلوا أوجاعهم ومعاناتهم ، لكنهم في الوقت ذاته وجدوا أنفسهم أمام محنة أصعب وحقبة أشد مرارة مما قبلها ، محنة الاحتلال والإرهاب والقتل على الهوية ، وسلب مظاهر العيش والحياة ومحاولة تغيير خارطة المجتمع العراقي بهمجية ووحشية وعنف . فكانت الروايات تغطي في زمنها تلك الحقبتين قبل وبعد عام ٢٠٠٣ ، مع وجود بعض الروايات التي انفردت برصد حقبة مابعد الاحتلال ، مثلما انفردت أخرى بالحقب السابقة لعام ٢٠٠٣ . فلم ينتظر الروائي كثيرا حتى يكتب عما يعيشه من محن ، فظهرت الروايات التي تتحدث عن الاحتلال وماجره من ويلات ودمار للبلد وكأن كتابها ((أرادوا اقتناص الصورة وتدوينها على الورق بأسرع وقت ممكن ، وكأنها طائر يروم الإنفلات على الدوام ، الانفلات من الذاكرة ، هذا ماكان يقلق الكتاب وهم يدونون أفكارهم ومشاهداتهم وآرءهم ، حتى ظهرت الروايات وكأنها حالة من حالات المقاومة ، حالة لاتتمثل بمقاومة الاحتلال وتبعاته التي مامن شك ستؤثر في بنية المجتمع العراقي ، ولكن مقاومة نسيان حجم الفجيعة . هي إذاً مقاومة أدبية ثقافية ظهرت متفردة عن كل أشكال المقاومة في الشارع العراقي))[٤٥] ، فكان أمام الروائي العراقي الكثير من مشاهد العنف والترهيب الدموي والثقافي والفكري يعيشها ويكتب عنها مباشرة قبل خفوتها أو نسيانها في تلافيف الذاكرة . ليعالجها بفنية وحرفية بعيدة عن التسجيل الوثائقي ، وبعيداً عن الواقعية المباشرة ، وإنما كان أسلوبه رمزياً بعيد عن التقريرية يختلط فيه الخيال بالواقع ، الحلم بالحقيقة لايخلو من روح السخرية ، وهذا الأسلوب إنمازت به أغلب الروايات محط الدارسة في بحثنا هذا. أما الثيمات الثقافية الأساسية التي وقفت عندها تلك الروايات فإنها لم تخرج أكثير عن تلك التي ذكرناها في المبحث الأول ، وتتمثل بـ: قتل الإرهاب لمظاهر الحياة العصرية ، ومحاولة القضاء على المعالم الحضارية للبلد وترهيب ثقافة المجتمع عن طريق محاربة بعض السلوكيات والثقافات التي تربى الفرد والمجتمع عليها، ومحاولة غرس سلوكيات جديدة متطرفة تتعارض مع ماتربى عليه وتتواءم مع روح التطرف وتنميها . ليعيش حالة من النكوص الثقافي بكل مستوياته العمرانية والحضارية والفنية والفكرية ، فاستحالت المدن العراقية اشباح مدن ، كما تصف الراوية البطلة في رواية (سيدات زحل) للكاتبة (لطفية الدليمي) العاصمة بغداد بعد دخول الامريكان وسقوط النظام السابق وسيطرة الأحزاب السياسية والدينية على المشهد العام للبلد ، ودخول البلاد في دوامة من العنف والتناحر ((مدينتي استحالت متاهة حين اختفت جميع العلامات والأسماء من طرقها ، اتخذت الشوارع أسماء جديدة واختلطت الجهات ، أزيلت الساعات العمودية من الساحات ...حلت محل الحزب الواحد عبارت دينية وطائفية تبشر وتنذر وترهب ، غطت جدارن المدينة وجسورها وأعمدتها اللافتات السود والخضر فلم يجد الناس الأمكنة التي اعتادوا التوجه إليها في صباحات العمل ،...غدت سماء المدينة سواداً موشحاً بلطخات دموية واتخذ الدخان أشكال تهاويل ووحوش وتنانين تقذف اللهب من أفواهها وبغداد تتنفس هواء مسموماً والناس تشرب من ماء الجحيم وتهرس تحت العقب الساحقة لجيش الغازة....))[٤٦] ، وقد وقفت أغلب الروايات عند موضوعة سيطرة التسلط الديني على المشهد العام سواء من التنظيمات الإرهابية وتحديداً (تنظيم القاعدة) ، أو من يتخذ من الدين لبوساً له من الأحزاب السياسية . ولاسيما اجبار الفتيات على لبس الحجاب والتدخل في مظهر الشباب ولباسهم وحتى طريقة تصفيف شعرهم ، فاصبحت المرأة السافرة والعاملة ثمرة يانعة حان قطف رأسها من لدن التنظيمات الارهابية –كما تصوره الرواية– ((أنضج الصيف ثمار الكمثرى والعنب وتساقطت ثمار التفاح الكوفي من الشجر مع كثير من الرؤوس التي قطعها الذباحون الملتحون في الطرقات ، ظهيرة أحد أيام تموز القائظة اعترض المسلحون سيارة تنقل موظفات البنك ، مابين حي العامرية وحي الخضراء ، أنزلوا البنات غير المحجبات ،أشهروا سيوفهم ، كبروا وبسملوا وقطعوا رؤوس أربعة منهن وألقوا بها على الرصيف واختفوا، بعد أيام أنزلوا القصاص بفتيان يرتدون الشورتات في طريقهم إلى مسبح الحي ، قطعوا سيقانهم وتركوهم يصرخون في العراء))[٤٧] . ولم يكن هذا حال العاصمة بغداد فحسب ، وإنما بقية المحافظات ، إذ تصور رواية (هواء قليل) للكاتب (جنان جاسم حلاوي) مدينة البصرة بعد عام ٢٠٠٣ وكيف سيطرت الأحزاب والقوى الاسلامية المتشددة التي أغلقت أماكن اللهو والموسيقى ((واجبرت النساء على ارتداء الحجاب ، ومنعت البناطيل الجينز، ودمرت محال الحلاقين ، ودكاكين بيع الخمور وأشرطة الموسيقى ، وأغلقت النوادي الترفيهية الخاصة ، وفجرت الملاهي والمسارح...))[٤٨] ، فممارسة العنف ضد السافرات وضد مظاهر الحياة الحضارية إبان سيطرة التنظيمات الارهابية وتسيد التسلط الديني على المشهد العام للبلد أدى إلى اختفاء المرأة من الشارع ولاسيما شارع المتنبي إذ تصور رواية (نجمة البتاويين) شارع المتنبي في تلك الحقبة

بأنه شارع ذكوري لاأثر للمرأة فيه ((اللهم الا المحجبات العجائز القادمات فعلاً لشراء لوازم مدرسية لأولادهن أو أحفادهن . الشارع يكتظ بالذكور فقط ، الذكور الخشنون غير المهندمين ، القساو التعابير . عطر المرأة ، ورنة كعبيها الناقرين لأسفلت الشارع ، وخصلات شعرها المتطايرة ،...مفقودة في هذه الصباحية من صباحيات الشارع ، أين هربت نساء بغداد الجميلات))[٤٩] . إن تسيد سلطة الدين لاسيما في السنوات الأولى التي أعقبت دخول الأمريكان عام ٢٠٠٣ ، رصدته الرواية العراقية بتفصيلاته وأشارت إلى أن لبوس الدين تقف وراءه غايات مادية ، إذا أصبح التدين سمة لمظهر التاجر ، كما تصف ذلك رواية (الأمريكان في بيتي) لنزار عبدالستار[٥٠]، بينما تذهب رواية (بغداد.. مالبورو) إلى أبعد من ذلك عندما تعزو محاربة المسيحيين ومنعهم من إقامة طقوسهم يكمن وراءه الطمع في بيوتهم كونهم يقطنون في مركز بغداد في أحياء مثل الكرادة والمسبح والعرصات وكمب الأرمن والبتاويين . فعلى الرغم من إن التهديدات والاعتداءات على المسيح حملت بصمات الإرهاب ، فإن أغلبها كان من صنع المضاربين والطامعين في بالعقارات .[٥١]ومثلما وقفت الرواية العراقية الصادرة بعد عام ٢٠٠٣ عند تأثير حروب النظام السابق في الحياة المدنية والثقافية وترهيبه وتحجيمه للفن والأدب ،فإنها وقفت أيضاً عند تأثير الإرهاب وغياب الأمن ودور المجموعات المسلحة في القضاء على مظاهر الثقافة والفن والأدب ، إذ لاجدوى من الفكر والثقافة في بلاد تعيش يومياً على دماء أبنائها[٥٢] . والأعتى من ذلك هو قتل الكفاءات العلمية من مهندسين وأطباء وصحافيين[٥٣]. ومحاربة الموسيقى والفنون وعدّها كفرا [٥٤]. وتنفيذ العمليات الإرهابية في دور السينما والفن.[٥٥] وكانت موضوعة حرق المكتبات من الموضوعات المهمة التي وقفت عندها تلك الروايات ولاسيما حادثة تفجير شارع المتنبي ، وحرق المكتبات التاريخية فيه واستهداف المقاهي الأدبية[٥٦]. إذ بفقدان المكتبات تنفقد الهوية الثقافية والتاريخية للبلد . وحملت رواية (نجمة البتاويين) هماً ثقافيا وحضارياً أكبر في الوقوف عند أماكن بغداد الثقافية والتاريخية وتحولاتها عبر الزمن وتأثير الحروب والأحداث السياسية في معالمها وتحديداً شارع المتنبي وشارع الرشيد وسوق هرج ، وكيف شاخت تلك الأماكن التي تربى في كنفها اجيال عدة وقضت خصوبتها الفكرية ضمن أجوائها ، إذ ارتبطت الثقافة بشارع الرشيد وكأنها ابنة القاع ، فضلاً لدور المقاهي في هذا الشارع في رسم الخريطة الثقافية لأجيال متعاقبة إذ يصفه الراوي البطل بأنه رئة بغداد ، وعبرت حالته عن حالة بغداد ازدهر بازدهارها وبؤسه من بؤسها ، فمن خلال قراءة هذا الشارع يمكن قراءة الحالة الثقافية والاجتماعية والفكرية لبغداد على مر الأزمان ، فقد قِ در له أن يحمل ذاكرة أخرى هي ذاكرة الحروب والهجرات .[٥٧]

ولم تغفل تلك الروايات أقسى وأعتى أنواع الإرهاب الثقافي ألا وهو استهداف الآثار والتراث ، وماتعرضت له من تدمير وسرقة بعد دخول الامريكان وماتبعه من انفلات أمني وشيوع التنظيمات الارهابية . ذلك لما تشكله الآثار والوثائق التاريخية والصروح المعمارية وحتى الاواني والحلي التراثية من هوية ثقافية مهمة للبلد بل انها روح الوطن وذاكرته الجمعية وبفقدانها يفقدان هويتهما . ومن أكثر الروايات التي وقفت وقفة جادة وعميقة عند هذا الموضوع هي رواية (الامريكان في بيتي) التي تناولت قضية سرقة الآثار وتهريبها إلى خارج العراق بعد دخول الامريكان ، لتكشف أن حرب الامريكان على العراق هي حرب ثقافية حضارية هدفها الحصول على أكبر قدر من الوثائق والمخطوطات التاريخية والحلي الأثرية الثمينة ، وكيف تم ذلك بتخطيط وذكاء من لدن سلطات الاحتلال ، إذ تروي الرواية على لسان أحد أبطالها كيف خصص الجيش الامريكي منحة لتحديث مكتبة الأوقاف في الموصل وقاموا بنقل ألف مخطوطة إلى جهة مجهولة بحجة صيانتها وترميمها ، واعادتها بعد اكتمال ترميم المبنى ، لكنهم أعادوا نصف المخطوطات واحتفظوا بالمخطوطات الأثمن والتي أغلبها بالسريانية والعبرية[٥٨] . ولم تكشف الرواية عن سرقة الآثار بعد دخول الامريكان فحسب ، وانما حاولت أن تكشف عن سرقة تلك الآثار في الحقب السابقة أيضاً ، ومنها الجدارية الآشورية في متحف برلين ، وتهريب مكتبة آشور بانيبال إلى المتحف البريطاني ، بعد قيامه بتمويل بعثات التنقيب في القرن التاسع عشر والعثور عليها في (تل قوينجق) ، وتم شحن ٢٥ ألف رقيم طيني إلى المتحف البريطاني فضلاً عن تماثيل وبوابات شكلت النواة الأولى لعلم الآشوريات[٥٩] . وتدور أحداث الرواية الرئيسة حول محاولة الامريكان الحصول على قلادة الملكة شمشو زوجة الملك آشور بانيبال عبر ملاحقة بطل الرواية الذي بحوزته القلادة . ومن الروايات التي وقفت عند هذه الثيمة (الآثار وسرقتها) رواية (سيدات زحل) إذ تناولت هذه الرواية سرقة المتحف الوطني والمكتبة الوطنية ودار الوثائق وحرقها ، وكيف قام النهابون بمباركة سلطات الاحتلال بسرقة((التماثيل والأختام الاسطوانية والمسلات وحلي الملكات الغابرات وكسروا أواني النذور ودحرجوا رؤوس ملوك سومر وآشور فتهشمت على أرضية الرخام وتفتت هياكل انسان الكهوف تحت أقدامهم))[٦٠]. أما بقية الروايات فانها لم تخلُ من الإشارة إلى قضية سرقة الآثار ونهبها سواء من لدن سلطات الاحتلال أو السراق أو التجار إبان فتح المباني الحكومية أمامهم من لدن الامريكان ، لكن هذه الإشارات كانت بحاجة إلى وقفة أعمق وأطول . ومن هذه الروايات رواية (انه يحلم أو يلعب أو يموت) لأحمد سعداوي التي تجري أحداثها عبر استذكارات بطلها (نديم) وعبر الافتراضات والنسخ المعدلة التي يقترحها عن نفسه وعن واقعه الغني بالتفاصيل والحكايات الغريبة والمثيرة ، هذه الرواية التي يختلط فيها الحلم بالواقع ويصعب الحسم

بخيالية أحداثها أو واقعيتها لم يعد ذلك أمراً مهماً مادمنا نعيش في بلد تملؤه كوابيس الموت والدم عبر الاحلام المجهضة ووقائع الموت المقيمة واللعب بالمصائر . أمام لعبة الموت العراقي الكل يتساوى عند حدودها لايهم كيف؟ وأين؟ ومتى؟ انها ذاكرة بشعة هاجرت مع صاحبها لتروي ثلاثة عقود من الموت منذ حرب الثمانينيات وصعوداً بأسلوب ساخر وخيال جامح ، لكن عندما يتعلق الأمر بالآثار وهوية البلد فإن المنسلخ يعود إلى ذاته ويتوحد الأشخاص وتتلاشى المسافات بينهم لأنهم يواجهون سرقة هويتهم وتاريخهم ، إذ يصف الراوي البطل احساسه وموقفه عند زيارته لمتحف (باتريوت ستار) وهو المتحف الذي تعرض فيه مسروقات المتحف الوطني العراقي إبان الاحتلال (بحجة الحفاظ عليها من السرقة):((إن المسافة بيني وبين حميد قد تلاشت تماماً ، وها نحن أنا وهو نواجه آثار بلدنا المنهوبة ، تتحاور معنا بطينها المفخور ،وأختامها، ووجوه التماثيل المنشدهة ، والمحدقة بالمجهول . تحسست جسدي ، فلمست ملامح حميد ، وغزاني شعور بالألفة))[٦١]. وأشارت رواية (كوبنهاكن مثلث الموت) أيضاً إلى موضوعة سرقة آثار بابل إبان الاحتلال الامريكي ، إذ تروي على لسان إحدى شخصياتها ، كيف سيطرت القوات الامريكية على منطقة الآثار في مدينة بابل ومنعت أي فرد من الدخول إليها حتى الموظفين والعمال والحرس العراقيين تم طردهم من الموقع، نظرا لوصول فرقة من علماء الآثار الإسرائيليين منذ اليوم الأول لدخول الأمريكان إلى محافظة بابل ؛ لأنهم يبحثون عن جذورهم منذ زمن طويل لاسيما ان قصة السبي البابلي لليهود كانت تؤرقهم[٦٢]. وفي رواية (نجمة البتاويين) كذلك إشارة إلى سرقة المتحف الوطني والمتحف البغدادي إبان دخول الأمريكان إلى بغداد لكنها إشارة بحاجة إلى وقفة أكثر تفصيلاً.[٦٣] ولم تغفل الرواية العراقية الصادرة بعد عام ٢٠٠٣ دور وسائل الإعلام السلبي والخطير في توجيه سلوك الأفراد وطريقة تفكيرهم ، فبدل أن تخلق وسائل الإعلام التي انتشرت بشكل واسع بعد عام ٢٠٠٣ ، رأياً وطنياً عراقياً موحداً وعاماً ، قامت ببث روح الفرقة والتطرف وعززت الشعور بالطائفية والعنصرية والولاء للمذهب والحزب فقد تناولت رواية (فرانكشتاين في بغداد) لأحمد سعداوي هذه الثيمة بأسلوب ذكي بعيدة عن التقريرية والمباشرة عندما انتهت أحداث الرواية بنهاية مفاجئة غير متوقعة جسدت فكرة الوهم الإعلامي الذي ينجح في تغيير الحقائق وتزييفها واقناع الناس بها .[٦٤] ورصدت رواية(سيدات زحل) تأثيرا سلبياً آخر لوسائل الإعلام ألا وهو تأثيرها في لغة المجتمع وثقافته فالبرغم من مما رصدناه في بعض الروايات من إشارات لتأثير الحرب واستبداد السلطة على لغة الكتابة والأدب بل ولغة المجتمع ومفرداتهم ، فإن رواية (سيدات زحل) ترى أن أدباء تلك الحقبة كانوا قادرين على التحايل باللغة على تأويلات السلطة ، أما بعد عام ٢٠٠٣ فقدت اللغة رونقها وحلت محلها لغة غريبة:((فقد الناس اللغة اليومية التي كانوا يتحايلون بها على تأويلات حارس الحاكم وحلت لديهم كلمات غريبة يتداولونها دون أن يعوا مدلولاتها الفقهية المطلسمة ، كلمات هطلت من الفضائيات التي يهيمن عليها حارس الفضائل الزائفة))[٦٥]. وتشير رواية(نجمة البتاويين) إلى أن الإرهاب الدموي والعنف والقتل ومشاهد الموت اليومية هي التي ولدت تلك اللغة الغريبة في الشارع والمجتمع فالإرهاب حول الإنسان العراقي إلى كائن فظ وسميك الحواس ينحت مصطلحاته المرعبة ذات الإيقاع العنيف من واقعه المرعب :انفجارات ، عبوات ، اغتيالات[٦٦] ، فالعنف المادي خلق العنف الفكري . أما رواية (الحفيدة الأمريكية) فأنها تشير إلى أن أهم انجازات الديمقراطية في العراق في السنوات الاولى بعد دخول الأمريكان هو اللغة المتداولة .[٦٧] على الرغم من ان الرواية العراقية الصادرة بعد عام ٢٠٠٣ هي رواية تميل إلى الواقعية والتاريخ الحديث والمعاش ، لكنها نأت عن التسجيلية والتقريرية وقدمت مادتها الروائية بأسلوب فني امتزج فيه الخيال بالواقع ، السخرية اللاذعة بالغضب والمرارة ، وبأسلوب لايخلو من الشاعرية والخيال الجامح – فعلى سبيل المثال لاالحصر – تلجأ كاتبة رواية (سيدات زحل) في رصدها للإرهاب الثقافي ومحاولة طمس الإرهاب للهوية الثقافية والحضارية للبلد إلى استنطاق الشخصيات التاريخية والأدبية والفنية مثل : الشاعر معروف الرصافي ، والمتنبي، وسليمة مراد ،... لتكون تلك الرموز التاريخية التي أسهمت في رسم خارطة البلد الثقافية والحضارية والتاريخية صرخات ألم واحتجاج ضد انتهاك الثقافة واستباحة حضارة البلد وتراثه ، تقول الراوية البطلة:((أغادر خرسي وأغني لنفسي أمام المرايا أغنية سليمة مراد :

على شواطي دجلة مر يامنيتي وقت الفجر

..... وسليمة مراد تبكي وتقول لي : كوني حنوناً على الأغنيات ، الأغاني روح عالمنا ، ....، قالت: أهذه المدينة المحطمة مدينتنا؟؟ أم أنني ضللت السبيل إليها؟؟ همست لشبح سليمة مارد: بغداد تخلت عنا بقدر تخلينا عنها... ردت بصوت ارعش كتنهيدة : لأننا أقدمنا على خيانتها من ألف عام))[٦٨] . وتصور الرواية بغداد بعد دخول الأمريكان تصويرا رائعاً بأسلوب تخييلي يمتزج فيه الوهم بالحقيقة الخيال بالواقع ، عبر بث الحياة في تماثيل بغداد ولاسيما تماثيل الشعراء :((ارتعشت تماثيل الشعراء وتزحزحت عن قواعدها الرخامية، رأيت المتنبي بعمامته وطيلسانه يهبط من عليائه متخلياً عن هالة كبريائه ويعدو في الأزقة منشداً:

لأي صروف الدهر فيه نعاتبُ وأي رزاياه بوترٍ نطالبُ

أبو نؤاس كان يترنح ثملاً والدموع تسح على وجنتيه الضامرتين مابين فندق المريديان والشيراتون اللذين استوطنت فيهما القوات الأمريكية ووسائل الإعلام الأجنبية ، جندي المارينز أطلق الرصاص من مكمنه نحو الشاعر المترنح ،.....الرصافي كان يسير حزيناً في شارع الرشيد ، شاء أولاً أن يحتسي شاياً في مقهى أليف

كان يرتاده لكنه وجد مكانه دكاناً لبيع رمانات المتفجرات والأسلحة الخفيفة والملابس والرتب العسكرية...))[٦٩] فالعاصمة بغداد – كما صورتها الرواية– لم تفقد هويتها الحضارية التاريخية فحسب، بل هويتها الحضارية المعاصرة أيضاً .وغالباً مايلجأ الراوي إلى استخدام تقنية الحلم (حلم الشخصية) للتعبير عن فكرة ما ، كما في رواية (نجمة البتاويين) عندما يقف السرد عند حلم إحدى شخصيات الرواية (علي محمد أمين) ليستغرق صفحات عدة ، ويرمز الحلم إلى حالة الفوضى وغياب الأمن وشيوع الإرهاب وضياع الهوية الثقافية للبلد: ((...فنزل مثل حجارة ثقيلة إلى قاع دجلة . لم يمت . كان يتنفس ويرى ويمشي تحت الماء ، بل أحس وكأنه يقوم بجولة للترويح عن النفس تحت دجلة ، وكان الهدوء عميقاً وشاملاً ، الأصوات ، أصوات بغداد اختفت ، كنوز بغداد في قاع دجلة ، سنطور الجالغي البغدادي ، والقيثارة والعود المزركش بالخطوط وعساليج العنب، رأس نبوخذ نصر يحدق إليه بعينين مطليتين بالقار ، حمورابي مازال واقفاً على مسلته يتسلم قوانين الرب ، وكانت المسلة مربوطة إلى جثة شاب مقطوع البلعوم ...))[٧٠] وفي تقنية الحلم هذه ترميز عالٍ وإشارة إلى أن إهمال الفن والموسيقى هو قتل لجزء كبير من ثقافة البلد ، فضلاً عن الاشارة إلى غياب القانون واستباحة دماء الشعب ولاسيما الشباب . لم تكن كل الروايات تقف عند حدود خط البوح أو الإدانة لانتهاك الثقافة أو الحريات الفكرية ، وإنما تجاوز بعضها هذا الخط وتخطت مرحلة الاستسلام واليأس إلى بث روح التفاؤل والمقاومة لدى المتلقي ، ومن هذه الروايات رواية (الأمريكان في بيتي) عندما يقوم البطل بالإنضمام إلى منظمة خيرية سرية وهي منظمة قديمة تأسست في القرن الثامن في مدينة الموصل وباق نشاطها إلى الوقت الحاضر، بحسب الرواية ، هدفها دعم أركان المجتمع وانقاذ ثقافة البلد وتراثه وإحياء الفن والسينما والموسيقى بعد دمارها عند دخول الأمريكان للبلد[٧١] . والهم الأكبر لأبطال الرواية في أغلب أحداثها هو مقاومة الإرهاب الثقافي والفكري عبر الحفاظ على الآثار وافتتاح السينمات ، وتأسيس فرق موسيقية وتدريس مادة الفنية والموسيقى للأطفال برغم كل العقبات في طريق ذلك ، وهو أمر– على حد قول الراوي– قد لايغير من المأساة شيئاً لكنه رد شجاع على كل من يقف ضد الحياة[٧٢] . ونهاية الرواية كانت نهاية تفاؤلية بأن هؤلاء الملائكة السريون الذين يعملون من أجل الثقافة وإحياء الفكر والتراث في البلد سوف يتكاثرونومن الروايات التي نلمس فيها هذا الحس التفاؤلي والمقاوم رواية(كوبنهاكن مثلث الموت) وفي الحوار الذي يدور بين شخصيات الرواية وأبطالها : ((علينا ألا نستسلم للوقائع ، فعلى الرغم من كل مايحدث ، علينا أن نفكر كي نشعر بانسانيتنا . أعترف أن كل مامرّ علينا من كوارث ، وكل ماسيأتي من مرارة وقهر ، لهو كفيل بتحطيم العقول وسلب الإتزان ، ولكن المستقبل لنا . فلاحياة مع اليأس.))[٧٣] . ورواية (سيدات زحل) عندما تصف الراوية البطلة المحتل الأمريكي وعبثه بالبلد تذكر عبارة :((لم تمس أيديهم عالم الأعماق واكتفوا بالزائل من أشياء حياتنا ...))[٧٤] وهي عبارة تحمل دلالة عميقة بأن مامرّ به هذا الشعب لم يغير شيئاً في جوهره وهويته . حتى اسم البطلة حياة البابلي له رمزية ودلالة على أن الحياة في هذا البلد ستستمر وهويته التاريخية باقية برغم كل شيء .إن هذه الروايات لاتكتفي باستدرار عطف القارئ وإثارة مشاعر وقتية تنتهي بانتهاء قراءة الرواية، بل انها رواية تستفز انسانيتنا وتفجر الطاقات الفكرية وتحررها من انقياديتها واستسلامها ، إنها تلفت نظر الإنسان إلى ماغفله من تاريخه وحضارته وثقافته وفكره ، ليعرف أنها في خطر أكثر منه .

الخاتمة:

رصدت الرواية العراقية بعد عام ٢٠٠٣ محنة الأدباء والمثقفين في زمن الحرب والإرهاب والدكتاتورية فلم يبق أمام الشاعر والأديب البحث عن لغة لم تفسدها الحرب ولا الإعلام، أو أن يبقى في صمت عميق ، وتعد سياسة تكميم الأفواه وقمع الحريات والكبت الانساني، والفني والأدبي ، ومصادرة حقوق الانسان ، وما جرته الحروب التي خاضها النظام السابق من آثار مرعبة على الحياة الثقافية والإعلامية والحضارية في البلد، وقتل الحرب للحياة المدنية والثقافية عبر عسكرة الحياة المدنية في الجامعات والمدارس، والمرافق الفنية ومعارض الرسم وعروض المسرح والصحف. أما عن تأثير الارهاب ودخول الامريكان عام ٢٠٠٣ فقد تناولته تلك الروايات بعمق أكثر ومن الثيمات التي رصدتها قتل الإرهاب لمظاهر الحياة العصرية ، فضلاً عن موضوعة حرق المكتبات ولاسيما حادثة تفجير شارع المتنبي، وحرق المكتبات التاريخية فيه. ولم تغفل تلك الروايات أقسى وأعتى أنواع الإرهاب الثقافي وهو استهداف الآثار والتراث، كما كشفت تلك الروايات دور وسائل الإعلام السلبي والخطير في توجيه سلوك الأفراد وطريقة تفكيرهم ، وكذلك تأثيرها في لغة المجتمع والأدب.

لقد نأت تلك الروايات – على الرغم من واقعيتها وانحيازها للتاريخ المعاش– عن التسجيلية والتقريرية وقدمت مادتها الروائية بأسلوب فني امتزج فيه الخيال بالواقع ، السخرية اللاذعة بالغضب والمرارة ، وبأسلوب لايخلو من الشاعرية والخيال الجامح واستخدام تقنية الحلم ، فضلاً عن تخطيها حدود خط البوح أو الإدانة لانتهاك الثقافة وسلب الحريات ، وتجاوز مرحلة الاستسلام واليأس إلى بث روح التفاؤل والمقاومة لدى المتلقي.

الهوامش:

[١] الإرهاب الفكري (مفهومه ، بعض صوره ، سبل الوقاية منه) ،الدكتور خالد بن عبد الرحمن القريشي الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والاحتساب ، اللجنة العلمية للمؤتمر العالمي عن موقف الاسلام من الارهاب ١٤٢٥ هـ /٢٠٠٤ م ، المملكة العربية السعودية ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، المؤتمر العالمي عن موقف الاسلام من الارهاب : ٩ .

[٢] ينظر: مفهوم الارهاب الفكري في الفكر الاسلامي والعقلية الغربية ، م.م. علاء شنون مطر– كلية الفقه /جامعة الكوفة ، مجلة مركز دراسات الكوفة ، مجلة فصلية محكمة ، العراق – النجف الأشرف ، ع ٤١ ، س٢٠١٦ : ١٧٩. وينظر: الدكتور خالد بن عبد الرحمن القريشي،الارهاب الفكري:١٠ –١١ .

[٣] مختار الصحاح ، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ت٦٦٦هـ ، ترتيب محمود خاطر ، تحقيق: حمزة فتح الله ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت –لبنان ، ط٧ ، ١٩٩٨ :٢٥٩ .

[٤] ينظر: أساس البلاغة ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، ط١، بيروت – لبنان ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨ : ٤١٨ .

[٥] ينظر: المنجد في اللغة والاعلام المنجد في اللغة والاعلام ، علي بن الحسن الهنائي الازوي ، دار المشرق ، بيروت –لبنان ، ط٢ ، ١٩٦٠ : ٢٨٢.

[٦] الموسوعة السياسية ،عبد الوهاب الكيالي ، ط٢ ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت، ١٩٨٥ : ١٥٣ .

[٧] القاموس السياسي ، احمد عطية احمد ، ط٣ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨ : ١٤٥ .

[٨] معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ،د.احمد زكي بدوي ، ط بلا ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٢ : ٤٢٣ .

[٩] الإرهاب يؤسس دولة (نموذج اسرائيل) ، د.هيثم الكيلاني ، ط١، دار الشروق ، مصر ، ١٩٧٥ : ١٧ .

[١٠] الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب ، جامعة الدول العربية ، الباب الأول ، تعاريف وأحكام عامة ، ١٩٩٨/٤/٢٢ ، ينظر في شبكة المعلومات العالمية (الانترنت) متاح على الرابط http:www.lasportal.org

[١١] معجم مقاييس اللغة ، أبي الحسين احمد بن فارس زكريا ت٣٩٥هـ ، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون ، طبعة اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٢ : ٣٨٢/١ مادة (ثقف) .

[١٢] ينظر: المعجم الوسيط ، قام باخراجه: ابراهيم مصطفى ، احمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد علي النجار ، مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث ، دار الدعوة، ط٢ : ٩٨/١ مادة (ثقف) .

[١٣] ينظر: لسان العرب ، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر ، بيروت– لبنان ، ط٦ طبعة جديدة ومنقحة ،ب.ت. ، المجلد الثالث :٢٨ مادة (ثقف) .

[١٤] طبقات فحول الشعراء ، ابي عبدالله محمد بن سلام الجمحي ت٢٣١ هـ، مع تمهيد للناشر الالماني جوزف هل ، ودراسة عن المؤلف والكتاب للمرحوم الاستاذ طه ابراهيم احمد ابراهيم ، منشورات محمد علي بيضوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١ م : ٢٦ .

[١٥] ينظر: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، دنيس كوش ، ترجمة: منير السعيداني ، مراجعة : د. الطاهر لبيب ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، آذار(مارس)٢٠٠٧ : ١٦ –١٧ .

[١٦] ينظر: المصدر نفسه : ١٨–١٩ .

[١٧] الخطة الشاملة للثقافة العربية،الموقع الالكتروني للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليسكو) . www.alecso.org

[١٨] مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية : ٣١ .

[١٩] ينظر: الأنماط الثقافية للعنف ، باريرا ويتمر ، ترجمة: د.ممدوح يوسف عمران ، عالم المعرفة (٣٣٧) ، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ط١ ، صفر ١٤٢٨هـ – مارس ٢٠٠٧ : ٢ .

[٢٠] دراسة في طبيعة المجتمع العراقي (محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث ، الدكتور علي الوردي ، جامعة بغداد، بدون سنة طبع : ٣٦ .

[٢١] ينظر: المصدر نفسه: ٣٦ .

[٢٢] ينظر: الرواية العراقية ..صورة الوجع العراقي ثماني سنوات في عمر الرواية العراقية ٢٠٠٤ –٢٠١٢ ، حسين السكاف، الروسم للصحافة والنشر والتوزيع ، بغداد–العراق، ط١ ، ٢٠١٤ : ٩ –١٠ .

[٢٣] المصدر نفسه: ١١ .

[٢٤] أساتذة الوهم ، علي بدر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠١١ :٩٣ .

[٢٥] المصدر نفسه:٨٠ .

[٢٦] ينظر: المصدر نفسه:٨٩–٩٠ .وينظر: ٩١ ،٩٢، ٩٣ .

[٢٧] المصدر نفسه: ٨١ .

[٢٨] خضرقد والعصر الزيتوني،نصيف فلك ، كتاب المصباح الثقافي ، سلسلة تصدر من جريدة الصباح تعنى بشؤون الثقافة والفكر والأدب ،ب.ت :٢٥ .

[٢٩] ينظر: إعجام ، سنان انطوان ، منشورات الجمل ، بيروت–لبنان ، ٢٠١٣ : ٥٩ . وينظر: ٦٠،٦١ .

[٣٠] كم بدت السماء قريبة!!، بتول خضيري ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت –لبنان ، ط٤ ، ٢٠٠٧ :٩٨ .

[٣١] المصدر نفسه: ١١١ . وينظر أيضاً: ١١٩،١٩٥ .

[32] القائد .

[٣٣] إعجام : ١٠١ .

[٣٤] ينظر: العنف الثقافي في الرواية العراقية : روايتا (خضر قد) و(طشاري) اختياراً ، د.سمير الخليل ، آفاق أدبية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد – العراق ، السنة السادسة ، ع٣ ، ٢٠١٦ : ١٣٣ – ١٣٤ .

[٣٥] ينظر: الحفيدة الأمريكية ، إنعام كجه جي ، الجديد ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، شتاء ٢٠٠٩ : ٨١،٨٢ ، ٨٣ .

[٣٦] العودة إلى كارديا ، فوزي كريم ، دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق– سوريا، بيروت– لبنان، بغداد – العراق، ط١،٢٠٠٤: ١١٥ .

[٣٧] المصدر نفسه: ١٠٣ .

[٣٨] أساتذة الوهم: ٢٥١ – ٢٥٢ .

[٣٩] ينظر: المصدر نفسه: ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

[٤٠] نجمة البتاويين ، شاكر الأنباري ، دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق – سوريا ، بيروت –لبنان ، بغداد–العراق ، ط١ ، ٢٠١٠ : ٩١ .

[٤١] ينظر: خضرقد والعصر الزيتوني : ٤٤ ، ١٢٢ ، ١٢٥ .

[٤٢] أساتذة الوهم : ٢٨١ .

[٤٣] ينظر: المصدر نفسه : ٢٨١ – ٢٨٢ .

[٤٤] المصدر نفسه: ٨٥ .

[٤٥] الرواية العراقية ..صورة الوجع العراقي : ١٦٥ . وينظر أيضاً : ٢١ .

[٤٦] سيدات زحل ، لطفية الدليمي ، دار فضاءات للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ٢٠٠٩ : ٢٩ – ٣٠ .

[٤٧] المصدر نفسه: ١٧٨ وينظر: ٧٣– ٧٤ .

[٤٨] هواء قليل ، جنان جاسم حلاوي ، دار الآداب للنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٩ : ٢٣٨ . وينظر أيضاً مارصدته رواية (بغداد مالبورو) لنجم والي ، من محاربة السافرات في مدينة البصرة . ينظر: بغداد ..مالبورو ، نجم والي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠١٢ : ٢٦٥

[٤٩] نجمة البتاويين :١٨٥ . وينظر: ١٥٣ .

[٥٠] ينظر: الأمريكان في بيتي ، نزار عبد الستار ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠١١ : ٨ .

[٥١] ينظر: بغداد...مالبورو : ٣٠٤ .

[٥٢] نظر: نجمة البتاويين : ١٦٣ . وينظر: كوبنهاكن مثلث الموت ، حسين السكاف شركة العارف للأعمال ش.م.م. ، بيروت– لبنان ، العراق – النجف ، ط١ ، ٢٠١٥ : ٨٣ . وينظر: سيدات زحل : ٣١ .

[٥٣] ينظر: نجمة البتاويين : ١٥٣ . وينظر: سيدات زحل : ٨٢ إذ تقف عند ابتزاز الصحافيين والاعلاميين من لدن تنظيم القاعدة والمجموعات المسلحة .

[٥٤] ينظر: الأمريكان في بيتي : ٥٩، ١٥٦ .

[٥٥] ينظر: المصدر نفسه : ١٩٤ . وينظر: سيدات زحل: ١١٠ .

[٥٦] ينظر: سيدات زحل : ٣٢ ، ٦١ ، ٦٢ ، ١٠٢ ، ١٠٣ . وينظر: الأمريكان في بيتي: ٢٥ ، ١٩٤. وينظر: بغداد..مالبورو:٢٧٢. وينظر: نجمة البتاويين : ٢٣ ، ١٩٠ –١٩٢ . ولم تقف رواية (نجمة البتاويين) عند هذا الحد من تأثير الارهاب على المكتبات والكتب ، وانما تناولت تأثيره في نوعية الكتب وطريقة تفكير الناس وذوقهم في القراءة ، إذ راجت كتب الشعوذة والسحر والكتب الدينية في شارع المتنبي أكثر من ذي قبل ويعزو الراوي البطل ذلك إلى شيوع الموت والإرهاب فكلما شاع الموت بدأ الناس يؤمنون بالخوارق .ينظر:٥٥ –٥٦ .

[٥٧] ينظر: نجمة البتاويين: ٥٨ –٥٩ ، ٨٥ – ٩٤ ، ١٦١ ، ١٧٨ ، ١٨٠ .

[٥٨] ينظر: الأمريكان في بيتي : ١٤٤ ومابعدها .

[٥٩] ينظر: المصدر نفسه : ١١٠ ، ١١١ ،١١٢ .

[٦٠] ينظر: سيدات زحل: ١٠٣ .

[٦١] إنه يحلم أو يلعب أو يموت ، أحمد سعدي ، شورات الجمل ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠١٥ : ١٤٥ . وينظر أيضاً حول الاشارة الى سرقة الاثار : ١٣٦ ، ١٣٧ .

[٦٢] ينظر: كوبنهاكن مثلث الموت: ١٧ ، ١٨ . وفي الرواية أيضاً إشارة إلى اختفاء جدار في آثار بابل في ستينيات القرن المنصرم. ينظر: ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ .

[٦٣] ينظر: نجمة البتاويين : ٦٩ .

[٦٤] ينظر: فرانكشتاين في بغداد ، أحمد سعداوي ، منشورات الجمل ، بيروت – لبنان ، ط٩ ، ٢٠١٤ : ٣٤٦ ومابعدها .
وينظر: ١٩٩ اشارة الرواية مباشرة على الإرهاب الفكري لوسائل الإعلام عبر شاشات التلفزة .

[٦٥] سيدات زحل: ٣٢ .

[٦٦] ينظر: نجمة البتاويين : ١٢ ، ١٧ .

[٦٧] ينظر: الحفيدة الأمريكية: ١٢٤–١٢٥ .

[٦٨] سيدات زحل: ٣٤ .

[٦٩] المصدر نفسه: ٣٠ –٣١ . وينظر: ١٠٣ ومابعدها إذ تصور الكاتبة اقتحام المتحف العراقي وتدميره وسرقة الوثائق والتماثيل باستنطاق طيف مس بيل لتشهد المفارقة كيف دمر حليفها الأمريكي مؤلفاتها في علوم اللغة والأنساب والكشوفات التاريخية ...

[٧٠] نجمة البتاويين : ١٠٨ .

[٧١] ينظر: الأمريكان في بيتي: ٦٦– ٧٤ .

[٧٢] ينظرعلى سبيل المثال لا الحصر: ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٥٦ .

[٧٣] كوبنهاكن مثلث الموت : ٨٤ .

[٧٤] سيدات زحل: ٣٨ .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الإرهاب الفكري (مفهومه ، بعض صوره ، سبل الوقاية منه) ، إعداد الدكتور خالد بن عبد الرحمن القريشي الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والاحتساب ، اللجنة العلمية للمؤتمر العالمي عن موقف الاسلام من الارهاب ١٤٢٥ هـ /٢٠٠٤ م ، المملكة العربية السعودية ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، المؤتمر العالمي عن موقف الاسلام من الارهاب.
- الإرهاب يؤسس دولة (نموذج اسرائيل) ، د.هيثم الكيلاني ، ط١، دار الشروق ، مصر ، ١٩٧٥ .
- أساتذة الوهم ، علي بدر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠١١.
- أساس البلاغة ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، ط١، بيروت–لبنان ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨.
- إعجام ، سنان انطوان ، منشورات الجمل ، بيروت–لبنان ، ٢٠١٣ .
- الأمريكان في بيتي ، نزار عبد الستار ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت– لبنان ، ط١ ، ٢٠١١ .
- الأنماط الثقافية للعنف ، باريرا ويتمر ، ترجمة: د.ممدوح يوسف عمران ، عالم المعرفة (٣٣٧) ، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ط١ ، صفر ١٤٢٨هـ– مارس ٢٠٠٧ .
- إنه يحلم أو يلعب أو يموت ، أحمد سعدي ، شورات الجمل ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠١٥ .
- بغداد ..مالبورو ، نجم والي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠١٢.
- جامعة الدول العربية ، الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب ، الباب الأول ، تعاريف وأحكام عامة ، ١٩٩٨/٤/٢٢، شبكة المعلومات العالمية (الانترنت) متاح على الرابط http:www.lasportal.org
- الحفيدة الأمريكية ، إنعام كجه جي ، الجديد ، بيروت– لبنان ، ط٢ ، شتاء ٢٠٠٩ .
- خضرقد والعصر الزيتوني،نصيف فلك ، كتاب المصباح الثقافي ، سلسلة تصدر من جريدة الصباح تعنى بشؤون الثقافة والفكر والأدب ،ب.ت .
- الخطة الشاملة للثقافة العربية،الموقع الالكتروني للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليسكو) . www.alecso.org
- دراسة في طبيعة المجتمع العراقي (محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث ، الدكتور علي الوردي ، جامعة بغداد، بدون سنة طبع.
- الرواية العراقية ..صورة الوجع العراقي ثماني سنوات في عمر الرواية العراقية ٢٠٠٤– ٢٠١٢ ، حسين السكاف، الروسم للصحافة والنشر والتوزيع ، بغداد–العراق، ط١ ، ٢٠١٤.
- سيدات زحل ، لطفية الدليمي ، دار فضاءات للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ٢٠٠٩ .
- طبقات فحول الشعراء ، ابي عبدالله محمد بن سلام الجمحي ت٢٣١ هـ، مع تمهيد للناشر الالماني جوزف هل ، ودراسة عن المؤلف والكتاب للمرحوم الاستاذ طه ابراهيم احمد ابراهيم ، منشورات محمد علي بيضوت، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١ م .
- العنف الثقافي في الرواية العراقية : روايتا (خضر قد) و(طشاري) اختياراً ، د.سمير الخليل ، آفاق أدبية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد–العراق ، السنة السادسة ، ع٣ ، ٢٠١٦.
- العودة إلى كاردينيا ، فوزي كريم ، دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق– سوريا، بيروت– لبنان، بغداد– العراق، ط١،٢٠٠٤ .
- فرانكشتاين في بغداد ، أحمد سعداوي ، منشورات الجمل ، بيروت – لبنان ، ط٩ ، ٢٠١٤.
- القاموس السياسي ، احمد عطية احمد ، ط٣ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

- كم بدت السماء قريبة!!، بتول خضيري ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت –لبنان ، ط٤ ، ٢٠٠٧.
- كوبنهاكن مثلث الموت ، حسين السكاف شركة العارف للأعمال ش.م.م ، بيروت– لبنان ، العراق – النجف ، ط١ ، ٢٠١٥.
- لسان العرب ، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر ، بيروت– لبنان ، ط٦ طبعة جديدة ومنقحة ،ب.ت.
- مختار الصحاح ، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ت٦٦٦هـ ، ترتيب محمود خاطر ، تحقيق: حمزة فتح الله ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت –لبنان ، ط٧ ، ١٩٩٨.
- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، د.احمد زكي بدوي ، ط بلا ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٢ .
- معجم مقاييس اللغة ، أبي الحسين احمد بن فارس زكريا ت٣٩٥هـ ، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون ، طبعة اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٢.
- المعجم الوسيط ، قام باخراجه: ابراهيم مصطفى ، احمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد علي النجار ، مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث ، دار الدعوة، ط٢ ، ب.ت.
- مفهوم الارهاب الفكري في الفكر الاسلامي والعقلية الغربية ، م.م. علاء شنون مطر ، كلية الفقه /جامعة الكوفة ، مجلة مركز دراسات الكوفة ، مجلة فصلية محكمة ، العراق – النجف الأشرف ، ع ٤١ ، س٢٠١٦.
- مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، دنيس كوش ، ترجمة: منير السعيداني ، مراجعة : د. الطاهر لبيب، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، آذار(مارس)٢٠٠٧ .
- المنجد في اللغة والاعلام ، علي بن الحسن الهنائي الازوي ، دار المشرق ، بيروت –لبنان ، ط٢ ، ١٩٦٠ .
- الموسوعة السياسية ، عبد الوهاب الكيالي ، ط٢ ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت، ١٩٨٥ .
- نجمة البتاويين ، شاكر الأنباري ، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق– سوريا ، بيروت–لبنان ، بغداد–العراق ، ط١ ، ٢٠١٠.
- هواء قليل ، جنان جاسم حلاوي ، دار الآداب للنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٩ .